

309003 - مصير أصحاب الأخدود

السؤال

أنا أعمل إماماً وخطيباً، و كنت أتحدث عن أصحاب الأخدود ، فسألني رجل بعد الخطبة كيف كانت نهاية ملك أصحاب الأخدود ؟ وكيف أهلكه الله ؟ ولا يوجد عندي إجابة إلا أن الله يهلك الظالمين كما حدث مع فرعون وغيره ، فالسؤال : كيف كانت نهاية ملك أصحاب الأخدود ؟

الإجابة المفصلة

أولاً :

من المفيد للمسلم بصفة عامة ، ولطالب العلم بصفة خاصة: أن يكون سؤاله وبحثه ونظره فيما يعود بالنفع عليه، وعلى من حوله ، في الدين والدنيا .

وهذا هو منهج نبينا صلى الله عليه وسلم ، ففي الحديث عن أنس رضي الله عنه : "أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ السَّاعَةِ، فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: «وَمَاذَا أَعْذَذْتَ لَهَا». قَالَ: لَا شَيْءَ، إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَخْبَيْتَ». قَالَ أَنَّسٌ: فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ، فَرَحَّنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَخْبَيْتَ» قَالَ أَنَّسٌ: «فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّ إِيمَانِهِمْ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ» رواه البخاري (3688)، وبوب عليه "النسائي" في "السنن الكبرى" (376/5): "إذا سئل العالم عما يكره".

ومثل هذا مفيد للمعلم، والواعظ والخطيب: أن يرشد الناس، بتلطيف، وحكمة: إلى السؤال عما ينفعهم، وترك تكليف ما لافائدة لهم فيه.

يقول الإمام الطبرى رحمه الله ، في التعقىب على خلاف المفسرين والرواية في الثمن الذى بيع به يوسف ، عليه السلام:

"والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أنهم باعوه بدرارهم معدودة غير موزونة، ولم يحدّ مبلغ ذلك بوزن ولا عدد، ولا وضع عليه دلالة في كتاب ولا خبر من الرسول صلى الله عليه وسلم. وقد يحتمل أن يكون كان عشرين ويحتمل أن يكون كان اثنين وعشرين وأن يكون كان أربعين، وأقل من ذلك وأكثر، وأيًّ ذلك كان، فإنها كانت معدودة غير موزونة .

وليس في العلم بمبلغ وزن ذلك فائدة تقع في دين، ولا في الجهل به دخول ضرر فيه. والإيمان بظاهر التنزيل فرض، وما عداه فموضوع عنا تكليف علمه". انتهى، من "تفسير الطبرى" (15/15-16).

وقد تكرر من إمام المفسرين، ابن حيرر الطبرى رحمه الله، نحو ذلك التقرير في مواضع من كتابه العظيم.

وينظر للفائدة: جواب السؤال رقم : (103889).

ثانية :

"ورد خلاف بين السلف في تحديد أصحاب الأخدود ومكانهم، وقد ورد في صحيح مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر أصحاب الأخدود الذين في اليمن، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يشر في هذه القصة التي يذكرها للصحابة إلى هذه الآيات.

ولذا يقال: إن كل ما ذكر من أصحاب الأخدود فإنه داخل في حكم هذه الآية، وبالخصوص القوم الذين ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم قصتهم، وهذا يكون من التفسير بالسنة؛ لأن المفسر استفاد من هذه القصة، المطابقة لخبر الآية؛ ففسر بها، والله أعلم"، انتهى من "تفسير جزء عم"، د. مساعد الطيار (108).

ثالثاً :

لم نقف على حديث مرفوع يبين عذاب أصحاب الأخدود، وما أمرهم. إلا أن بعض السلف ذكر أن عذابهم أن : " خَرَجَتِ النَّارُ إِلَى مَنْ عَلَى شَفِيرِ الْأَخْدُودِ مِنَ الْكُفَّارِ، فَأَحْرَقَتْهُمْ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ: {فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمُ} . البروج/10، في الآخرة: {وَلَهُمْ عَذَابٌ الْحَرِيقِ} . البروج/10، في الدنيا .

انظر : "تفسير الطبرى" (276/24).

وعن الربيع، " {فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمُ} . [البروج: 10] في الآخرة . {وَلَهُمْ عَذَابٌ الْحَرِيقِ} . [البروج: 10] في الدنيا "، انتهى من "تفسير الطبرى" (281/24).

وقد أشار بعض المفسرين والمتكلمين على فوائد إيهام عذاب الكفار في هذه القصة : إلى أن من فوائد إيهام عذاب الكفار في هذه القصة العظيمة، وعدم ذكر ما نالهم من عذاب الله في الدنيا: أن يُردد الناس، ويحال أمرهم على ما يكون من عدل الله ، وحسابه لعباده في الآخرة، فهب أنهم لم يصبهم شيء من العذاب، والبلاء العام في هذه الدار - الدنيا - ؟ فماذا كان ؟

إن هذه الدنيا ليست هي دار الجزاء، والحساب؛ بل هي دار عمل، وسعى ؛ وأما الجزاء الحقيقى، والحساب، والميزان: فإنما يكون في الآخرة؛ فإلى ذلك ينبغي أن يردد الناس، وعليه يجب أن يحالوا.

وفي أمثل هذه القصص أيضا: تسلية للمؤمنين بما يصيبهم من البلاء ، أو العذاب، أو فوات النصر في هذه الدنيا، وأن الجزاء إنما يكون عند رب العالمين، في يوم اللقاء.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:

" في هذه الآيات من العبر:

أن الله سبحانه وتعالى قد يسلط أعداءه على أوليائه، فلا تستغرب إذا سلط الله عز وجل الكفار على المؤمنين وقتلوهم وحرقوهم، وانتهكوا أغراضهم، لا تستغرب، فللله تعالى في هذا حكمة، المصابون من المؤمنين أجرهم عند الله عظيم.

وهؤلاء الكفار المعتدون أملٍ لهم الله سبحانه وتعالى ويستدرجهم من حيث لا يعلمون، والمسلمون الباقيون لهم عبرة وعظة فيما حصل لإخوانه.

فمثلاً نحن نسمع ما يحصل من الانتهاكات العظيمة، انتهاك الأعراض، وإتلاف الأموال، وتوجيه الصغار والعجائز، نسمع أشياء تبكي، فنقول: سبحان الله ما هذا التسلط الذي سلطه الله على هؤلاء المؤمنين؟

نقول: يا أخي لا تستغرب؛ فالله سبحانه وتعالى ضرب لنا أمثلاً فيمن سبق، يحرقون المؤمنين بالنار، فهؤلاء الذين سلطوا على إخواننا في بلاد المسلمين هذا رفعه درجات للمصابين، وتكفير السيدات، وهو عبرة للباقين، وهو أيضاً إغراء لهؤلاء الكافرين حتى يتسلطوا فيأخذهم الله عز وجل أخذ عزيز مقتدر. انتهى من "تفسير جزء عم" (130).

وعن حَبَابِ بْنِ الْأَرْتِ، قَالَ: "شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظَلِّ الْكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلَا تَسْتَنِصِرُ لَنَا، أَلَا تَدْعُ اللَّهَ لَنَا؟ قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحَفَّرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، فَيَخْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاهَ بِالْمَنْشَارِ فَيُوَضَّعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقَّ بِالثَّتَنِينِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْسِطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظِيمٍ أَوْ عَصِيبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهُ لَيَنْمِنَ هَذَا الْأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهُ، أَوِ الدُّلُبُ عَلَى ثَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَغْلِلُونَ» رواه البخاري (3612).

والله أعلم.